الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غارداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأدب النسوي الجزائري
أحلام مستغانمي
نسيان Com عينةً

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ليسانس في اللغة العربة وآدابها.

التخصص: أدب عربي ونقده.

من إعداد الطالبتين:

- ✓ بوميدونة زينب.
- ✓ جعيدير الزهرة

إشراف الأستاذة:

الشامخة خديجة.

السنة الدراسية:

1434هـ/ 2013م

جدول المختصرات

رمز الإختصار	الشرح
ط	الطبعة
(د.ط)	دون طبعة
ص	الصفحة
مج	مجلد
ع	العدد
(د.ت)	دون تاريخ

الأدب هو أحد أشكال تعبير الإنسان عن مجمل العواطف والأفكار والخواطر بأرقى الأساليب الكتابية التي تتنوع من الشعر الموزون إلى النشر المنظوم، لنفتح أبواب القدرة على التعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بطريقة ما.

وأثناء القراءة في صفحات الأدب العربي، استوقفتنا صفحة الأدب الجزائري، نستظهر فيها واقع المرأة الجزائرية ومكانتها، حيث لم يكن الأدب وقفا على الرجال وحدهم، بل كان لها حضور بارز إلى جانب الرجل في ظل أنوثتها، هذا ما جعله حافزا لنا لاختيار موضوع بحثنا "الأدب النسوي الجزائري أحلام مستغانمي كتاب نسيان Com نموذجا".

وموضوع الرواية كان مجالا واسعا في كثير من الأحيان في عشرية عرفت فيها الجزائر أزمات متعددة ما يعرف بالعشرية السوداء، خرقت الروائية أحلام مستغانمي هذا السياج لتحقق من خلاله، مرام مختلفة الأبعاد مما يلف لغتها من متعة وجمال يغريان ويستدرجان القارئ إلى ساحات التأمل والاحتفاء باللغة من خلال شعريتها التي ظهرت لمسته في رواياتها، هذا ما شد انتباهنا لاختيار كتاب نسيان Com مجال دراستنا لمعرفة الخلفيات التي يجسدها في سطوره، ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع ما يلي:

- إنصاب جل اهتمام الباحثين على الأدباء الرجال، إهمال دراسة أدب النساء.
- معرفة اختلاف طبيعة المرأة عن الرجل، وانعكاس ذلك على سمات الأدب النسائي.
- الكتابة الروائية الجزائرية أصبحت تمتلك من الأقلام الأدبية والفكرية التي تسير موضوعات مسكوت عنها في صفحات الرواية الجزائرية.
- كتاب نسيان Com، لم يحظ بدراسة عميقة وافية وافتقار التحليل والمعايير العلمية والأساسية له، وهدفنا من ذلك هو كشف النقاط عن مستويات الإبداع عند أحلام مستغانمي، هذا ما استدعى طرح الإشكالية الآتية:

ماذا أضافت الكتابة النسائية في الأدب الجزائري؟ والذي انبثقت عنها جملة من التساؤلات التالية.

كيف أشارت أحلام مستغانمي إلى النقد الروائي؟ وما هي مستويات الإبداع في كتاب نسيان Com.

ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بتقسيم بحثنا إلى مقدمة، تمهيد ومبحثين وخاتمة.

في التمهيد عالجنا فكرة الأدب النسائي المتحدر إلينا والذي يدل على دور المرأة السياسي والحياة الاجتماعية وقيادتها مسيرة الفكر والثقافة، ثم جاء المبحث الأول موسوم بـ: ماهية الأدب النسوي، الذي قسمناه إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: الآراء النقدية حول تسمية المصطلح "الأدب النسوي"، المطلب الثاني: الأدب النسوي في الجزائر، المطلب الثالث: تجربة أحلام مستغانمي. والمبحث الثاني موسوم بـ: قراءة في كتاب نسيان Com لأحلام مستغانمي، قسمناه إلى ثلاثة مطالب: المطلب الأول: المستوى الديني، المطلب الثاني: مستوى التحليل النفسي، المطلب الثالث: مستوى التحليل الاجتماعي.

وقد اتبعنا المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة، واعترضتنا بعض الصعوبات في قلة المصادر والمراجع المتعلقة بهذا البحث بسبب حداثة مكتبة الجامعة، وصعوبة اقتناءنا من جهات أخرى، كذلك افتقار هذا الموضوع بالدراسة الكافية.

في هذا البحث اعتمدنا على بعض المصادر والمراجع أهمها:

- كتاب نسيان Com لأحلام مستغانمي.
- الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل لجعفر يايوش.
- المرأة في الرواية الجزائرية لصالح مفقود.

كما نشكر في الأخير الأستاذة المشرفة "الشامخة خديجة" شكرا خاصا وجزيلا على مساعدتها المادية والمعنوية، كل من ساعدنا ووجهنا في إتمام هذا البحث، ولا ننسى كل أساتذة الأدب العربي وعمال الإدارة والمكتبة.

ونسأل الله التوفيق لنا، ونتمنى أن نصيب من العلم ما ينفعنا، وأن لا يؤاخذنا إذا نسينا أو أخطأنا

أعضاء البحث هم:

- بوميدونة زينب
- جعيدير الزهرة

غرداية في: 2013/05/15.

تتميز المرأة بقدرات خلاقة وحيوية ربما لا نجدها في الرجل، فقد منحتها قدرة الله الرقة والعذوبة، وقد اقتضت وظيفة الأمومة أن تكون أكثر حساسية من الرجل وأسرع استجابة للمؤثرات العاطفية والوجدانية.[1] فهي في تراثنا العربي والإسلامي لها مشاركة بارزة في الإنتاج الأدبي عبر العصور، مما يخالف النظرة السائدة التي ترى أنها لم تتحرر إلا في عصرنا، ذلك بمشاركتها للرجل في الحياة الأدبية ثمرة وعي حضاري لا يتوفر إلا في شروط معينة.

الأدب النسائي المتحدر إلينا يدل على دور المرأة السياسي والحياة الاجتماعية وقيادتها مسيرة الفكر والثقافة أو جرأتها على قول الحق وعدم استكانتها للظلم، ووعيها البالغ في كل موقف من مواقف الحياة ولا يستقيم هذا الوعي إلا في جو الحرية الذي كانت تعيش فيه المرأة العربية في الإسلام وقبل الإسلام.

والناظر فيما ترامى إلينا "الأدب النسوي" بأن هناك من يؤرخ هذا المصطلح من مع بداية السبعينيات من القرن العشرين، حيث بدأ يتصاعد الاهتمام بأدب المرأة في حين يعيد البعض الآخر بداية ظهوره مع بداية تسعينيات القرن الماضي.

وعندما نتكلم عن مصطلح "الأدب النسائي" تنصرف الأذهان إلى دلالتين محتملتين، الأولى: أدب كاتبته المرأة، والثانية: أدب موضوعه المرأة، ومن باب التفريق انصرف المصطلح إلى الدلالة الأولى، واختصت الثانية بمصطلح آخر هو الأدب النسوي، واختصت الثانية بمصطلح آخر هو "الأدب النسوي".

ويمكن القول أن استعمال مصطلح "الأدب النسائي" يعود في العالم العربي إلى مرحلة النهضة التي أدرك فيها المتنورون أهمية دور المرأة في نهوض المجتمع وهو ما استدعى تعليمها، وأفسح لها المشاركة في النشاطات الاجتماعية والثقافية والإنتاج الأدبي وكثيرا ما وصم تاريخ النساء في العالم العربي بأنه تاريخ الإقصاء والتصميت والتغييب، فقد طمس أغلب المؤرخين تاريخ النساء الاجتماعي

1) محمد بدر، **أدب النساء في الجاهلية والإسلام**، مكتبة الآداب المطبعية النموذجية، القاهرة، د.ط، 1983م، ص 09.

وتغاضوا عن وعي أو غير وعي، عن مشاركتهن في مختلف مجالات الحياة، ولم يبد النقاد اهتماما كبيرا بإبداع النساء، إذ مثل النص الذكوري اعتقادهم المركز والجوهر الذي يجلب إليه جميع الأطراف، غير أن التحولات الطارئة في العصر الحديث في مختلف البنى والأنساق السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية والذهنية، أدت إلى اكتساب النساء مجموعة من الحقوق كحق التعليم وحق العمل فضلا عن إحداث تغيير في مستوى وعيهن، وشكل حضورهن في الحياة العامة.[1]

وفي عالمنا العربي برزت أسماء لامعة في مجال "الكتابة النسائية" أبرزها الكاتبة المصرية "نوال السعداوي" والسورية "غادة السمان" والمغربية "فاطمة المرنيسي" والفلسطينية "سحر خليفة" والجزائرية "أحلام مستغانمي".

كما نخص الذكر بالأدب النسوي في الجزائر. لذا نستطيع القول أن البداية الحقيقية للنهضة الأدبية الحديثة فالجزائر ارتبطت بجهود الحركة الإصلاحية، ومع بداية القرن العشرين أخذت تلوح في الأفق بوادر النهضة تمثلت في الشعر،[2] والرواية وفق المقال والقصة... الخ من الأجناس الأدبية.

في حين ساهمت الرواية الجزائرية كثيرا في رصد عديد من الظواهر الاجتماعية، التي أفرزتها الأزمة أثناء العشرية السوداء، وحاولت تسجيل انطباعات كُتَّابها، وحديثهم النفسي وأرائهم ومواقفهم اتجاه ما يقع في الجزائر، وبذلك نحت الرواية الجزائرية التي تتبعها تاريخيا من خلال ما سجله الروائيون، فعالجت موضوع المثقف الذي طالته يد الأزمة بالدرجة الأولى، لأنه يمثل صوت الحق الرافض لأي تغيير سلبي على المجتمع المثقف الذي كان له رأي مناهض ومندد لما يحدث في الجزائر والممثل في

1) أمل قرامي، مقال موسوم بـ: **الحضور النسائي في الكتابة الإلكترونية**، الملتقى العربي الأول حول قضايا المرأة والكتابة النسائية، منبر الإبداع للإصدارات والأخبار الثقافية، الجزائر 15 مايو 2009، ص 48.

2) ينظر، محمد ناصر، **الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية**، ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2006، ص (24، 28).

الكتاب والأدباء والفنانين والصحفيين، ونتيجة لمجاهرته برأيه وفضحه للجرائم، ولقد بلورت الرواية الجزائرية موقف المثقف الجزائري وصورت الأحداث التي مر بها، والآلام التي ألمت به[1]

لنجد الروائية أحلام مستغانمي تبدع في هذا المجال "الرواية" حين كتبت رواياتها الثلاثة المشهورة، "ذاكرة الجسد"، "فوضى الحواس"، "عابر سرير"، إذ نختص بحثنا في إبراز قدرات المرأة في الإبداع بقيمنا بدراسة وصفية لكتاب نسيان Com، هذا الكتاب الذي بث في نفوس القراء والرغبة والاستطلاع بما يحتويه إذ يمكن تصنيفه شبه وصفة طبية.

فالروائية أحلام مستغانمي تحمل كتابها الجديد الموسوم "نسيان Com" والصادر حديثا عن دار الأدب البيروتية، مشروعا ضخما لا يخلو من نفس النسائي، ويسعى إلى تأسيس لخطاب موجه إلى النساء حاثا إياهن على نسيان الخيبات العاطفية التي تثقل كاهلهن، بذكرياتهن التي تعكس الخيبة على مجمل نواحي الحياة وهو موضوع على شاكلة فصول صغيرة يحمل كل منها أفكار الكاتبة في زاوية محددة من نصائح تسديها النساء وخاصة أولئك اللواتي يعانين من الأثر السلبي لفقدان الحبيب إلى قصص صغيرة تراها الكاتبة ذات دلالة بالنسبة للموضوع التي تعالجه.

الكتاب يحمل على المقدمة غلاف تحذيرا "يحضر بيعه للرجال" كما يحمل على غلافه الخلفي شعار المشروع الذي تحاول الكاتبة التأسيس له: «أحبيه كما لم تحب امرأة وانسيه كما ينسى الرجال» وهو يحقق فكرة مبتكرة من خلال إرفاق ألبوم غنائي للفنانة اللبنانية "جاهدة وهبة" يضم بعض ما غنته من نسيان Com لأحلام مستغانمي تحت عنوان "أيها النسيان هبني قبلتك"

1) عبد اللطيف الحني، مقال موسوم بـ: **الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة**، أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري بالمركز الجامعي الطارف، ماي 2012، ص 270.

المبحث الأول: ماهية الأدب النسوي.

المطلب الأول: الآراء النقدية في إشكالية مصطلح الأدب النسوي.

بداية نستحضر إشكالية المصطلح في نظرية الكتابة النسوية أو النسائية كما يحلو للبعض أن يسميها، وذلك قصد طرح إشكالية من ناحية، وتحديد الموقف المنهجي لدراستنا من ناحية أخرى عند النقاد والأدباء[1].

منطلقين من طرح السؤال الآتي: **أي ما الذي نعنيه بالكتابة النسوية؟**.

على الرغم من تداول هذا المصطلح تداولا كبيرا في اللقاءات والملتقيات الأدبية فإنه لا يزال غامضا ومبهما، ويتم تناوله في غياب مرجعيته النظرية[2].

إن التحديد الدقيق لمصطلح الكتابة النسوية ساهم في شيوع مفاهيم مختلفة. فمنهم من قال النسوية، ومنهم من وصف المرأة بالكتابة الأنثى، ومنهم بالكتابة النسائية.

نجد فريق يرى أن المصطلح يستشف منه افتراض جوهر محدد لتلك الكتابة بتمايز بينها وبين الرجل في الوقت الذي فيه احتمال وجود كتابة مغايرة، تنجزها المرأة العربية استيحاء لذاتها وشروطها و وضعها المقهور، ومن بين النقاد العرب نجد جورج طرابيشي يميز بين ما تكتبه المرأة وما يكتبه الرجل، إذ يرى أن الرجل يكتب بعقله، أما المرأة تكتب بقلبها و يقول: «العالم هو محور اهتمام الرجل، أما المرأة فمحور اهتمامها الذات، حيث تستمد جمالية الكتابة في المقام الأول، ومن ثراء العواطف و زحم الأحاسيس»[3].

---

1) ليندة مسالي، مقال موسوم بـ: **إشكالية المتخيل السردي في الرواية النسوية الجزائرية ياسمينة صالح أنموذجا** الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، ع4 الجزائر، جانفي 2009، ص115.

2) أحلام معمري، مقال موسوم بـ: **إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة**، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، بجامعة ورقلة، ط1، الجزائر، 09-10 مارس 2011، ص207.

3) ليندة مسالي، المرجع نفسه، ص (115، 116).

كما يقول بعضهم: «إن المرأة تحنح إلى التخصيص، أما الرجل يجنح إلى التعميم، بحيث تكون نظرته شاملة و نظرتها جزئية و فردية »[1]

وأما فريق آخر فيرى أن الأدب مرتبط بحركة تحرير المرأة وحرية المرأة وبصراع المرأة الطويل التاريخي للمساواة بالرجل.

وقد ظهرت تسميات أخرى للأدب النسوي ابتكرها الغرب ووصلت إلينا، إذ ظهرت في السويد تسمية هذه الكتابات بأدب "الملائكة و السكاكين" وهو ما قلده أنيس منصور حين أطلق على ما تكتبه المرأة "أدب الأظافر الطويلة"، كما سماه أيضا إحسان عبد القدوس "أدب الروح والمناكير". رأى فيه أدبا صوتيا وشكليا، تعتني المرأة فيه بالتأثير الرنيني والتخيلي، عن طريق اختيار الجملة والعبارة، دون التدقيق في الموضوع.

ويفضل محمد جلاء إدريس مصطلح: "الأدب النسوي" ويعرفه بما تكتبه المرأة من أدب، في مقابل ما كتبه ما الرج، دون أن يحوي هذا المصطلح أحكاما نقدية، تعلي أو تحط من قدره ويرفض المسميات الأخرى "كالنسوية" أو "النسوي" وذلك لأنها تربط هذا الأدب تلقائيا بالحركة النسوية الغربية، بكل ما تحمله من سوءات رفضتها المرأة نفسها.

فمصطلح الأنوثة له علاقة بالبيولوجيا، أي الجنس (ذكر، أنثى). وهو ما لم ترفضه، فأثرنا مصطلح "النسوي" لأنه يتسق في توجهه مع أفكار النقد النسوي، الهادف إلى خلخلة الفكر الذكوري، يكشف زيفه ومحاولة بناء خطاب جديد، وهذا ما سعت إليه الكاتبات ولاسيما الحديثات[2].

عموما فقد برز الاختلاف بين الناقدات والنقاد العرب، والغرب حول أربعة مفاهيم، هي: المؤنث، النسوي، الأنثوي، النسائي، فالكاتبة "نازك الأعرجي" تؤكد أن الأنوثة كمفهوم يستدعي

1) مهدي ممتحن وشمس واقف زادة، مقال موسوم بـ: **الأدب النسائي مصطلح يتأرجح بين مؤيد ومعارض**، منشورات التراث الأدبي، مطبعية الجامعة الأردنية، عمان ع7، 1960، ص 137.

2) أحلام معمري، المرجع السابق، ص 207.

على الفور، الضعف والاستسلام والسلبية، لذا فهي تدعوا إلى استخدام مصطلح الكتابة النسوية، لأنه يقدم المرأة، والإطار المحيط بها في حالة حركة وجدل[1]

كذلك محاولة "زهرة الجلاصي"، تجاوزه حين أكدت أن "المصطلح النسائي" يتضمن معنى الحصر. في دائرة جنس النساء، مما صنفت الإبداع احتكاما لعوامل خارجية على غرار جنس المبدع، وهي بهذا تدعو إلى استخدام مصطلح النص الأنثوي بدلالة الكتابة النسوية.

ويمتد مجال الاختلاف عند شيرين أبو النجا، في كتابها (نسوي أو نسائي). حيث تلتزم التفرقة بين نسوي (وعي فكري) ونسائي (جنس بيولوجي) لكي لا يتم تصنيف الأدب على أساس الهوية الجنسية، من خلال ذلك تؤكد على حضور المرأة في نصها، باعتبارها ذاتا فاعلة.

إجمالا فقد توزعت آراء المرأة الكاتبة من مصطلح الكاتبة النسوية على ثلاث مواقف:

أ.الموقف الأول:

رافضا له جملة وتفصيلا، لأنه وجد فيه محاولة لتقسيم الأدب على أساس الهوية الجنسية، وهو ما حصل مع "لطيفة الزيات"، التي رفضت كتاباتها الإبداعية في باب الأدب النسائي، وذلك لاعتقادها أن هذا الوصف يتضمن تحقيرا لهذا الأدب، وتهوينا من أهميته، كذلك عملت يمنى العيد، على تأكيد هذا الموقف، حيث أكدت على أن هذا المصطلح بالذات يسهم في عزل أدب المرأة، وعن الحركة الإبداعية، إذن فإن الحديث عن أدب نسوي هو حديث خاطئ ومفتعل بقضية الأدب، لهذا يجب إعادة النظر فيه بشكل دقيق.

ب.الموقف الثاني:

فنراه يتأرجح بين الاعتراف بهذا المصطلح وبين رفضه، بخصوصية التجربة الاجتماعية والثقافية التي عاشتها المرأة مع رفض أن تكون هذه الخصوصية نابعة من تلازم المرأة والأدب الذي تكتبه، وقد

1) ليندة مسالي، المرجع السابق، ص 115

مثلت هذا الاتجاه الأديبة السورية "غادة سمان" التي ترى أم تسمية الأدب النسوي من أسلوبنا في التفكير، وقياما على المبدأ القائل: «الرجال قوامون على النساء » وهي بذلك تشترك مع الكاتبة المغربية "خناثة بنونة"، في موقفها الذي يحدد خصوصية الأدب النسوي، بالتمركز حول الذات [1] ورفض السلطة الذكورية، ولكنها تعود في النهاية لتعتبر أن هذه التصنيفات عابرة، إذا كانت المرأة تمتلك الجدارة الفكرية.

ويبدو أن "ياسمينة صالح"، لا تبدي أي اهتمام بهذه التقسيمات، مؤكدة أن ذلك لم يعد مجديا قبالة هذه الظروف الخطيرة، التي نعيشها كأدباء، وكأوطان على حد سواء، لهذا لا يعنيني أن فكرة الأدب النسائي، لأنها في الحقيقة تبدو لي أطروحة مفتعلة، وغير مجدية، فالإشكاليات الأهم بالنسبة لي هل ثمة أدب فعلا في هذا الواقع اللاأدبي؟

ج. الموقف الثالث:

مؤيد للكتابة النسوية، فيظهر لدى بعض الكاتبات، فتعبر إحدى الكاتبات عن علاقتها بمصطلح الكتابة النسوية، يعني بشكل خاص كل مصطلح جديد يعبر عن مفهوم الكتابة النسوية، وإن كانت نفسها ليست في حاجة للوفرة في استخدام المصطلحات، لأنها كتابة فارقة تعبر عن نفسها وقادرة على الاستمرار، والنمو والتفوق.

وتعبر عنه "حمدة خميسين" بقولها: «إن أدب المرأة واقعا، ومصطلحا ينبغي أن يكون مصدر اعتزاز المرأة المجتمع والنقاد. إذ أنه يصحح مفهوم الأدب الإنساني، الذي يؤكد على قيمة الإنسان وقدرته على تحقيق ذاته، كما أنه يضيف إلى الأدب السائد نكهة مغايرة ولغة وليدة ويعنيه ويتكامل معه، وهو أيضا خطاب نهوض وتنوير».

ويجيء التأييد للكتابة النسوية مشروطا بضرورة القراءات التطبيقية لبناء نظرية ثقافية نسوية، تنفي كل ما يتبادر للأذهان من أن الكتابة النسوية صفة سلبية عموما، وهو تقربه الناقدات اللواتي

1) ليندة مسالي، المرجع السابق، ص (115، 117)

يسعين إلى نفي هذا التوهم، حيث تصف "بثينة شعبان" العمل الروائي النسوي، بأنه يعبر عن مدى وعي المرأة، لأبعاد العلاقات الاجتماعية وجذورها والمغزى البعيد للحدث السياسي، ونتائجه الممكنة وفهم ما ساهمت به الحساسية النسائية من إغناء البعد الاجتماعي والسياسي والموضوعي للعمل الأدبي، ولا شك من هذه الصفة "النسائي" صفة قيمة يحق للكاتبات أن يفخرن بها، بدلا من أن تتجنبها،[1] وعليها التقطت الناشطات النسويات أطروحة ميشال فوكو عن القوة والسلطة، والثقافة منذ سبعينيات القرن الماضي، واستخدمناها تحليليا في دراستهن العلاقات ما بين الجنسين حتى وإن لم يبد "فوكو" نفسه اهتماما حقيقيا بالعلاقة بين أعماله وبين الكتاب المنادين بالمساواة للمرأة، وكتاب مرحلة ما بعد الاستعمار، وكما لاحظ "إدوارد سعيد" (1985) فإن النسويات توجهن إلى دراسة القوة كما قدمها فوكو بنوعها وشكلها كون القوة أصبحت بالنسبة إلى الخطاب النسوي ملهمة وضرورية لفهم أي تحول اجتماعي، والتدخل في هذا التحول لمصلحة النساء والعدالة بين الجنسين كذلك مناقشة التنمية والنساء عبر توجهات مداخل تنموية مختلفة، تطورت منذ سبعينيات القرن الماضي منها: مدخل "المرأة في التنمية" الذي نقد كثيرا خصوصا من قبل نسويات أمريكا اللاتينية، وآسيا، وإفريقيا حيث أن المرأة مدمجة فعلا في التنمية، ولكن بغير مصلحتها، فالنساء يشكلن الطبقات العاملة المستغلة، كما رأت النسويات أيضا أن الرأسمالية العالمية تؤدي إلى تردي الوضع الاقتصادي للنساء، مما يدفعهن إلى التهميش والإفقار.[2]

إن اختلاف الناقدات حول تعريف ما تكتبه المرأة فإنهن شبه مثقفات تقريبا على وجود على وجود الخصوصية في الكتابة النسوية، ومن خلال هذه الآراء والتعريفات يمكننا القول أن اللبس الحاصل في تعريف مصطلح الكتابة النسوية، ما هو إلا نتيجة للخلط المنهجي بين صيغة الأنثى

1) أحلام معمري ، المرجع السابق، ص211.

2) روان يوسف نتشة، مقال موسوم بـ: **تمكين المرأة من حضور السياق المغيب وإشكالية المعنى المفقود**، منشورات عالم الفكر، آفاق معرفية، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج40، ع1، يوليو، سبتمبر 2011، ص (143، 161).

والكتابة، التي تلخص المرأة في صفتها وصيغة المرأة، والكتابة التي تجسد المرأة ككيان وشخصية مكملة لجنس الرجل والمجتمع.[1]

لذلك لا نستطيع أن نطلق اصطلاح "الأدب النسائي"، نجمع فيه كاتبات مختلفات تماما في الأسلوب والاتجاه والرؤية الفكرية، وهناك العديد من الأقلام النسائية التي ترفض مسألة التصنيف على الجنس وترى في الأمر شيئا من المبالغة ويمكن أن الأدب يعني كلا الجنسين وليس جنسا دون آخر لأن الأدب خلاصة تجربة إنسانية لا تختص الذكر دون الأنثى ولا الأنثى دون الذكر، وذلك إذا أتيحت للمرأة الفرص للتثقف ثقافة عميقة مثل الرجل، وحظيت بالمكانة نفسها التي يتمتع بها الرجل.[2]

المطلب الثاني:الأدب النسوي في الجزائر.

شهد الأدب الجزائري المعاصر تطورا ملحوظا سنوات التسعينيات، متأثرا بالأحداث الاجتماعية، والسياسية التي عاشتها البلاد. وقبل الحديث عن الأدب النسوي في الجزائر نذكر واقع المرأة الجزائرية.

إن حديثنا عن المرأة في تاريخها الطويل والمتنوع، وتطرقنا إلى أوضاع المرأة العربية بصفة عامة لن يعنينا عن التطرق لوضع المرأة في الجزائر، ذلك أنه لكل قطر عربي ظروفه ومتغيراته التي على أساسها ترسم العلاقات بين الأفراد.

تقسم "أديب بامية" تاريخ المرأة الجزائرية في العصر الحديث إلى ثلاث مراحل:

1. الفترة الاستعمارية:

1) ليندة مسالي، المرجع السابق، ص (117، 118).

2) مهدي ممتحن، المرجع السابق، ص (137، 138).

كانت المرأة في هذه الفترة مضطهدة وكانت تعامل أشبه ما يكون بالسلعة، أثرها السلبي على معاملة الرجال للنساء، ذلك أن الاستعمار الفرنسي عرف بقسوته على الأهالي، وهؤلاء ينقلون المعاملة نفسها إلى بيوتهم، فبطبيعة المجتمع تقتضي تحكم الرجل في أمور الأسرة وسيطرته على المرأة.

2. وضعية المرأة أثناء الثورة:

كانت الثورة الجزائرية المسلحة التي انطلقت سنة 1954م، حيث هب الشعب للكفاح بكل ما يملك وبما يستطيع أن يتساوى فيه الذكور والإناث، وقد أثبتت المرأة جدارتها في الكفاح بمساعدتها للرجل، تقول الباحثة سالفة الذكر: «لقد برهنت الحرب حقا أنها كانت الفترة الذهبية في تاريخ المرأة الجزائرية، إذ أنه في أعقاب اندلاع الثورة ظهرت تغيرات مفاجئة شاملة، وبعيدة المدى في وضعية المرأة».

لقد كانت الحرب فرصة لتعبير المرأة عن نفسها بصورة مضاعفة، تثبت قوتها للمستعمر وللرجل في الوقت نفسه، فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة، ونسجت حول بطولتها القصص والحكايات التي سيتغذى بها الأدب القصصي فيما بعد.

3. فترة ما بعد الاستقلال:

جاءت فترة الاستقلال 1962م، فبالنسبة للنساء وجدن أنفسهن يعدن القهقري حيث صار ينظر إليهن تلك النظرة الاستعلائية، حيث تصف الكاتبة: "جولييت" هذه الفجاءة التي أصابت المرأة الجزائرية قائلة: «أخيرا جاء الاستقلال (يوليو 1962) وأعيدت النساء إلى بيوتهن، بعضهن بوجه عام، الأصغر كانت قد اعتقدت أن نضالها يمنحها حقوقا، سرعان ما خاب أملها ». مع ذلك لم تذهب بعيدا (المرأة) في ميدان تحررها لأسباب كثيرة[1]

1) صالح مفقودة، **المرأة في الرواية الجزائرية**، بجامعة محمد خيضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، بسكرة، ط2، 2009، ص (27، 29).

اقتحام المرأة الجزائرية ميدان الكتابة:

ميز واقع المرأة الجزائرية القهر، والتقوقع طبعه التمايز الذي أفرزته أعراف اجتماعية إلى حد انشطار المجتمع إلى عالمين عالم النساء، عالم الرجال.

عاشت الأنثى في ظل ممارسات وسلوكات متناقضة، إذ هي المرغوب و المرهوب غير المرضي عنه اجتماعيا، لكن مع بداية ثلاثينات القرن العشرين، لاح في أفق الجزائر تباشير تاريخ جديد ينبئ بتغيير الأوضاع السائدة، فقد تلقت تشجيعا على التعلم وتطوير حياتها الاجتماعية، فتجاوبت آنذاك مع الحركة الإصلاحية النسوية الجزائرية، والتي كان أعلامها أكثر التفافا إلى حال المرأة جوهريا.

جهود حركة الإصلاح الجزائرية و دورها:

كان لابن باديس دورا رائدا في تربية المرأة الجزائرية والاهتمام بشؤونها وفتح أقسام خاصة لتعليم البنات في مدرسة التربية و التعليم بمدينة قسنطينة، بالإضافة إلى المقالات التشجيعية التي كتبها والتي تخص التعليم و الاعتناء بالفتاة، وأمام حرص ابن باديس تخرج أول فوج نسوي في مدرسة التربية بمدينة قسنطينة عام 1838م، فجهود كهذه كونت لنا قاصات وأديبات وشاعرات ظهرن على الساحة الأدبية والفكرية[1].

ظل الصوت النسائي في الأدب الجزائري بعيدا عن الساحة، وهذا ما يجعلنا نقول: « أن هذا الأدب وليد الستينات وبصورة أدق من مواليد السبعينات، عدا الرواية التي ظلت غائبة حتى عام 1979م لتطل علينا رواية "يوميات من مدرسة حرة"»

1) جعفر يايوش،**الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل**، مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافة، وهران، (د.ط)، 2003، ص (142، 143).

وفي سماء الإبداع وتذوق هاجس الكتابة، نجد رفقة كوكبة من النسوة برزن منهن:

"زليخة السعودي": صوت أدبي نسوي، من أبرز الأدبيات في الوقت الذي كان الصوت النسائي في ميدان الكتابة الأدبية يكاد معدوما، ومن إنتاج الأدبية نجد:

القصة: "عازف الناي" صورة من بطولتنا نشرت هذه القصة في مجلة الفجر يوم: 1962/12/25م.

"من البطل" نشرت هذه القصة بمجلة "آمال" العدد الأول في أفريل 1969م و في المقالة نجد: "المرأة و الحرية"،"تكوين الشخصية" نشرت هذه المقالة بمجلة الفجر العدد 5، الصادر يوم: 1962/12/15م.

ونجد للأديبة إنتاج شعري منه:

"أغنية جرح" وقد أهدتها الأديبة زليخة إلى أخيها محمد، الذي أغتيل في فترة الاضطرابات السياسية التي أعقبت الاستقلال[1]

"آسيا جبار" اسمها الحقيقي فاطمة إميلين، شاعرة وروائية ولدت سنة 1936م، في قرية شرشال، تلقت تعليمها اللغة العربية والفرنسية، عرفت بـ:

"رواية العطش" La soife "القنابر الساذجة".

"جميلة خمار": لها قصة "الباب المغلق"، والتي كانت سنة 1985م.

"جميلة دباش": لها رواية "عزيزة" و رواية "ليلى فتاة الجزائر".

"جميلة زنير" معروفة بقصتها الرائعة "ذات البعد التراجيدي"، و"دائرة الحلم و العواطف".

1) شريبط أحمد شريبط، **دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، (د. ط)، 2003، ص (16، 17).

ربيعة جلطي، زكية علال، لها قصة "عروس إلى والقبر" سنة 1996م. زهرة برياح، لها ديوان شعري بعنوان "مدافئ العشق البارد"[1]

زهور ونيسي من مواليد ديسمبر 1936م خريجة مدرسة التربية والتعليم، أتمت دراستها بجامعة الجزائر، لها كتابات عديدة خاصة بالقصة، والنقد الأدبي. وأسست المجلة الجزائرية، أدارت أول مجلة نسائية في الجزائر، تصدر بالعربية والفرنسية، لها العديد من المؤلفات في الرواية القصيرة "الرصيف النائم" سنة 1967م. و القصص "على الشاطئ الآخر" سنة 1974م. بالإضافة إلى كتابات صحفية ومقالات اجتماعية وأدبية في مختلف الصحف الوطنية. ولها روايات عديدة منها: "لونجة الغول" سنة 1996م.[2]

وهي تعتبر أول امرأة تتولى منصب وزير في تاريخ الجزائر سنة 1982م.[3]

ونخص الذكر بكاتبتنا الجزائرية أحلام مستغانمي، ولدت في مدينة قسنطينة بتاريخ: 13 أفريل 1953م، دكتوراه علم الاجتماع من السربون، طرقت ميدان الصحافة، وتقربت من الإذاعة الجزائرية بهمسات شعرية، ومن أهم ما صدر لها ديوان الشعر، أول ديوان لها "على مرفأ الأيام" وديوانها الثاني "الكتابة في لحظة عري"، "أكاذيب سمكة".

أما في الرواية: "ذاكرة الجسد"، "فوضى الحواس"، "عابر سرير" ومن مواضيع الكتابة النسائية الجزائرية، نجدها تتمحور فيما يلي:

نظراً لما شاهدته الساحة الجزائرية قبل و بعد الاستقلال، شغل أفكار الأدباء، والأديبات لخوض هذه المسائل، وأبت الكاتبة أن تجعل هذه المستجدات منبعا لمواضيع كتاباتها.

1) جعفر يايوش، المرجع السابق، ص (144، 145).

2) جعفر يايوش، المرجع نفسه، ص 146.

3) أعمال زهور ونيسي،**الرواية المسرح**، دار هومة، الجزائر، مج1، ط1، (د.ت)، ص 547 .

مما نرى في الكتابة النسائية أن معظمها تتضمن معالجة قضايا ذاتية وسياسية واجتماعية وتاريخية. نجد:[1]

❖ **المواضيع الذاتية:**

إن ما عانته المرأة من إهانة، وتهميش هز فيها روح الحديث عن همومها، وعن مشاكلها والاعتراف حين يقول عبد القادر فيدوح: «صرف المبدعون طاقتهم الإبداعية إلى ابتكار ضمائرهم، وأسرارهم، ومحاورة الصراع القائم بين وجودهم وعالمهم الداخلي، طلبا لإمكان وجود مسلك متألق، يحددون به مسارهم في الحياة الشخصية والعاطفية الداخلية».

كما جاء في قصيدة " أرقد ثانية في الحزن" ل"خيرة حمر العين" حيث تقول:

عندما تخبرني يداك

بأن أصحو

ولا أسمع صوت العصافير

وأرقد ثانية في الحزن...

فهي أوجاع الأنوثة وآلامها تحت وطأة القهر والانكسار، وأثبتت ذاتها الأنثوية، وأضفت على وجودها الإنساني. إذ تعمق شعورها به في المجتمع الذي رفض أن يسمح لها بإبراز كيانها المستقل.

ولعل إطلاق إرادتها هو تشييد الواقع الذي تتوق إليه للتحرر عبر الفنون والإبداع، حيث تقول أحلام مستغانمي في نص "ذاكرة الجسد"، «لا تبحث كثيرا، لا يوجد شيء تحت الكلمات، إن امرأة تكتب هي امرأة فوق الشبهات، لأنها شفافة بطبعها، إن الكتابة مما يعلق بنا منذ لحظة الولادة».

❖ **المواضيع السياسية:**

1) جعفر يايوش، المرجع السابق، ص (148، 149).

لقد كانت السياسة من العوامل المؤثرة على وضع المرأة، بحيث نجدها ترصد تأزمات الواقع السياسي لجزائر السبعينات، الذي شهد جملة من أوضاع متردية إلى غاية الثمانينات، تطرقت المرأة إلى الإعلام وعلاقته بالثورة الاشتراكية الذي تضمنته كتابات زهور ونيسي في مقالاتها، التي نشرت في الجزائرية "الجيش" و"المجاهد"، تحدثت عن السلطة الحاكمة في الجزائر بعد الاستقلال[1]

إنما ترصد الأوضاع السياسية للجزائر في الآونة الأخيرة، نهاية الثمانينات. وهذا ما جسدته "شهرزاد زاغر"، في روايتها "بيت من جماجم" والتي تطرقت فيها إلى ظاهرة العنف، ومصير المثقف في هذا المجتمع.

❖ المواضيع الاجتماعية:

تناولت الكاتبة الحياة الاجتماعية للمرأة، وأعطت أمثلة عن المرأة وخاصة في مجتمعنا فهي تعاني من عدة مشاكل جراء التحول الاجتماعي، والوضع الطبقي. فهناك نجد المرأة الفقيرة تناضل من أجل ترقية مستواها الاجتماعي ليسهل عليها الزواج، والتعامل مع النسوة الثريات مثل قصة "الكرافاش" لزليخة جربوش، وتناولت إكراه البنت على الزواج، كما تجسدت في كتابات "زهور ونيسي" في قصتها "هؤلاء الناس".

ومظاهر المدينة التي تثير الاشمئزاز لإهمالها، فتجسيد العادات والتقاليد التي تفرض قيودها على المرأة، تجعلها مهمشة ورهينة البيت.

ونجد مسألة التعليم استعرضت نماذج عن النسوة الجزائريات، كما أدلت به آسيا جبار في إحدى روايتها "أطفال العالم الجديد".

❖ المواضيع التاريخية:

1) جعفر يايوش، المرجع السابق ص (148، 149).

تناولت الثورة الجزائرية، فصورت لنا واقع المرأة، التي ذهب زوجها وتركها تعاني من ويلات الاستعمار، وهي تقاوم بشجاعة. تناولته زهور ونيسي في قصتها "فاطمة"، الفتاة التي اختارها النضال على الزواج وماتت تحت التعذيب، ونهاية الثورة المسلحة والاهتمام بضحايا الحرب والمرضى، "فذاكرة الجسد" وضحت لنا الوجه الحقيقي للاستعمار[1]

المطلب الثالث: تجربة أحلام مستغانمي

الأديبة أحلام مستغانمي، تمثل جرأة جديدة في القصيدة العربية الحديثة في المغرب العربي، رغم أن عمر تجربتها الشعرية دوانيين، الأول صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1972م، تحت عنوان "على مرفأ الأيام" والديوان الثاني صدر عن دار الآداب بيروت في شهر فبراير سنة 1976م، تحت عنوان "الكتابة في لحظة عري"، بالإضافة إلى مجموعة مقالات نثرية، وقصائد شعرية في المجلات، والجرائد الوطنية.

أحلام تكون أحد الأركان الأساسية لبناء الحركة الأدبية الشابة في الجزائر المستقلة، وأحلام كغيرها من الشعراء تستمد مواضيعها من معاناتها اليومية وانفعالاتها مع ما يحدث في العالم المملوء بالحب والفرح والموت والصراع.

لقد كتبت الشاعرة عن وطنها، وأنشدت له طويلا، كتبت عن الفلاح وعن الطفل وعن العامل، وتغنت بأعياد الوطن مثل عيد أول نوفمبر وعيد الاستقلال، ولأنها تحب وطنها كما أحبه المجاهدون والمناضلون، فإنها أبت إلا أن تقدم ديوانها الثاني: "الكتابة لحظة عري " هدية متواضعة من شاعرة أحبت وطنها بعنف. نددت واحتجت وصورت بقلمها هموم ومآسي المغترب الجزائري، وكانت قصيدتها "من أجل هوية" دعوة لأن تعاد هوية المغتربين أبناء الوطن الرائع التي اغتصبتها مدن فرنسا.[2]

1) جعفر يايوش، المرجع السابق، ص (149، 150).

2) شريبط أحمد شريبط، المرجع السابق، ص 150.

وقد قدم ديوانها الأول "محمد الأخضر عبد القادر السائحي"، بكلمة تقريظية منها قوله: « أحلام مستغانمي شاعرة في ألفاظها، نغمة وعذوبة وجمال، وفي معانيها عمق وشفافية وابتكار، ثائرة متطلعة طموحة متواضعة، تلمس في أسلوبها البارع الرشاقة والعنف، والجرأة واللطف، ويزخر شعرها بالعاطفة المستمرة الثابتة. فلا ينتهي أثرها في النفس بعد القراءة، ولعل أول ما يلاحظ أن الشاعرة تنسج شعرا لم تنسجه زميلاتها، فمن حيث المضمون، فإن عامة قصائد هذا الديوان تضطرب حول التجربة الشخصية والحياة الذاتية لأحلام مستغانمي، وتعكس قصائد هذا الديوان، حياة فتاة مراهقة تبحث عن الحب، وتحلم بالزواج وتركض وراء الرجال، لغاية المشروع على كل حال»[1]

الجرأة والتجديد في شعر أحلام:

إن الجرأة والثوب الجديد اللذين برزت بهما أحلام من خلال مجموعتها "الكتابة في لحظة عري"، أدهشت الكثير من قراء العربية خاصة، الذين لا يعرفون عادات وتقاليد الأسرة الجزائرية.

- اجتياز أحلام في ديوان "الكتابة في لحظة عري" كل الحواجز بتفوق رائع.
- تهديم أحلام الجدار التقليدي للقصيدة العربية.
- تمردها على الشكل والمضمون وعدم الإيمان بهما.
- محاولة أحلام تقديم الإنسان العربي المواد الخام، وليس الوجبات الجاهزة، فأحلام جرأة واعية و شاعرة، مغامرة، هوايتها ركوب الخيل في اتجاه الصحراء العربية.[2]

تجربة أحلام مستغانمي في الثلاثية:

إذا كان هناك تشابه بين تجربة أحلام الروائية، وبين ما سبقها من الروائيين الذين خصهم البحث، فإن تجربة أحلام أضافت على التنظيرات النقدية بعض النماذج التطبيقية ليس لروايتها فقط، وإنما لروايات عربية وأخرى عالمية. وقد اعتمدت في تجربتها المحاور الآتية:

1) عبد المالك مرتاض، **معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين**، دار هومة الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص (550، 551)
2) شريبط أحمد شريبط، المرجع السابق، ص (177، 179).

- **مضمون الرواية:**

ليس للروايات موضوعات معينة تلزم أي كانت بالكتابة عنها: فالعمل الجيد بطريقة تناوله، وليس بالموضوع الذي يشكل مادته.

فمن خلال هذا ترى أحلام أن الحياة ما هي إلا التداخل الزمني، بين الماضي والحاضر، والمستقبل، ولأن الحاضر ليس إلا خيط رفيع، يربط بين الماضي والمستقبل، وبما أن المستقبل لم يأت بعد إلى حيز الوجود، ولذلك لا نملك إلا الماضي لنكتب عنه، ومن الطبيعي إلى حد ما أن كل روائي في الحقيقة، روائي تاريخي بما أن الماضي يشكل ركيزة هامة للإبداع[1].

وهذا ما تأسست عليه الثلاثية، فكانت رواية "ذاكرة الجسد"، التي جعلت سيرة الرسام نافذة تطل منها على تاريخ الثورة الجزائرية، فوجده تاريخ شهداء قابل للكتابة، لوم تنقطع الحكايات التاريخية أيضا في رواية "فوضى الحواس" وكذلك "عابر سرير"، ولهذا ليس غريبا على تاريخ الجزائر الحافل بالأحداث. القادر على إلهام فن روائي، تاريخ عظيم، ولم تقتصر موضوعات الثلاثية على التاريخ الوطني، بل التاريخ العربي، وذلك من خلال الشاعر الفلسطيني "زياد" ولهذا قال خالد لحياة: «لو عرفت رجلا مثل زياد، لما أحببت بعد اليوم زوربا».

- **تيمات الرواية:**

فقد ساد الروايات الثلاث منذ موت والدة الرسام، فكان دافعا للانضمام إلى جبهة التحرير، وفي موت الرسام نفسه في نهاية الجزء الثالث، فكان الموت آنذاك الحدث الأكبر تفعيلا، إلى درجة أنه طغى على كل الأحداث الأخرى حتى الحب، فكان بمثابة القاعدة التي انطلق منها الأبطال لتحريك الأحداث، وتحقيق الأفعال، وإن كان رمزيا على أساس أن "حياة"رمز الوطن، والمدينة، والأم والثورة.

- **سيرة المدينة:**

كانت سيرة المدينة موضوعا ذا تأثير قوي في إبراز بشاعة الاغتراب، ليضل الحنين صدى يتردد بين الأسطر وخلق الكلمات، هذه هي الموضوعات التي تستحق أن تكون مادة للرواية، وهذا ما

1) رئيسة موسى كريزم، **عالم أحلام مستغانمي الروائي**، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010م، ص (201، 204).

ترجمته أحلام في ثلاثيتها، فكان الدفاع عن الوطن والمواطن مهمة أساسية من مهمات الكتابة الروائية، فمن هنا تظهر عدة تساؤلات أهمها.[1]

لماذا يكتب الروائي أصلا؟

تأتي الإجابة بأنه يكتب أولا: للدفاع عن كرامة الإنسان، فالرواية بالنسبة لأحلام مستغانمي، هي مواجهة للظلم والقهر، وكذلك لكشف أعداء الوطن من الداخل، وفضح كل من يقف في وجه وجوده.

- **مكان آخر من الثلاثية:**

قول الروائية: «كنت أحاول أن أستعين على الخوف بالكتابة ». وتأكيدا لمقولاتها، نجد بعض آراء الكتاب التي استعانت بهم أحلام، والذين سئلوا عن سبب احترافهم الكتابة، فهي تتبنى هذه الآراء وتفعل مثلهم وتقول: « أجاب أحدهم ليجاور الأحياء والموتى، وآخر كي يسخر من المقابر، ورد ثالث كي أضرب موعدا».

كما نجد على لسان بطلتها "حياة" الكاتبة الروائية، أذكر مقولة الروائي سئل: لماذا تكتب؟ فأجاب ساخرا: لأن أبطالي في حاجة إلي، إنهم لا يملكون غيري على وجه الأرض.

فتعليق البطلة طبعا على هذا الروائي، جاء بمقطع سرديا تنظيريا ولكننا نحن سنأخذ منه مقولة ، هي خلاصة أو مقصدها الذي جاء نابعا من الحدث الروائي الذي دارت حوله الرواية، وهو بحث البطلة عن محقق أحلامها، أو بالأصح بحث الجزائر من منقذها بقولها: « فأين العجب في أن يصبح هذا الرجل كل عائلتي، ويشغل مكان زوجي، وأخي، وأمي وكل ما يحيطون بي».

أسس النقد الروائي عند أحلام مستغانمي:

1) رئيسة موسى كريزم، المرجع السابق، ص (204، 209).

روايات المؤلفة نفسها، انطلاقا من رحلة البحث نحو البنية الروائية تستطيع الوصول إلى عقل القارئ، وقلبه، فبطل الثلاثية كان قارئ لروايات البطلة، التي هي الكاتبة والروائية. وذلك تحقيقا لمشروعها النقدي.[1]

فذاكرة الجسد، رواية وعلى الروائية من خلالها أن تضع بعض المقاييس النقدية الخاصة، في الحوارات والمناقشات التي تدور بين البطلين، خالد وحياة يسألها على اختيارها الكتابة الروائية بالذات.

تقول: « في الحقيقة كل رواية ناجحة هي جريمة ما، ترتكبها اتجاه ذاكرة ما، وربما اتجاه شخص ما على مرأى من الجميع بكاتم صوت، ووحده يدري أن تلك الكلمة، رصاصة كانت موجهة إليه».

فيعبر بعد ذلك البطل عن رأيه بأفكار الروائية البطلة، وبرواتها الأولى، ويصفها بأنها امرأة تحترف العشق، بنفس درجة احترافها للحرائق قائل: «أكنت لحظتها تتنبئين بنهايتي القريبة، وتواسيني مسبقا على فاجعتي، أم كنت تتلاعبين بالكلمات كعادتك وتتفرجين على وقعها علي...».

أما رواية "فوضى الحواس" فقد كان تفاعل البطل مع بطل ذاكرة الجسد واصل إلى حد التباهي معه، فقد أعلنت الكاتبة على لسان البطلة «وأنا التي كنت أحلم بكتابة كتاب واحد، يمكنني بعده أموت كاتبة...».

كذلك رواية "عابر سرير"، فنجد أن نقد أحلام لروايتها كان نقدا فيه شيء من الثقة الزائدة، إلا أن عدد طبعات رواياتها يؤكد نجاحها، فالنقد استجابة لوصول الرسالة، ترجمها بطل "عابر سرير" بقوله للروائية التي يحبها: «لن أنتزع منك أعواد الثقاب، واصلي اللهو بالنار من أجل الحرائق القادمة».

ومن خلال كل هذا نلاحظ أن رد الكاتبة الروائية على نفسها كان فيه خليطا بين الفن والنقد الروائي، الذي هو أصل سرد روائي فتقول: «ثمة أبطال يكبرون داخلك إلى حد لا يتركون لك حيزا

1) رئيسة موسى كريزم، المرجع السابق، ص (204، 209).

للحياة، ولابد أن نقتلهم لتحيا مثل هؤلاء، بإمكانهم قتل مؤلفيهم، بعض الروائيين يموتون على يد أبطالهم، ما توقعوا قدرة كائن حبري على القتل».[1]

ومن خلال كل هذا استطاعت أحلام مستغانمي بعد نجاحها الكبير في أن تكون الكاتب الذي يعبر عن بعض قضايا الوطن والإنسان، وغيرها من الإنجازات التي حققتها في رواياتها وديوانها الشعري خاصة في ثلاثيتها في أن تكون الفراشة التي تمني الروائي الكبير أن تغادر شرنقتها، وتبحث مع الرجل نفس القضايا التي يبحث عنها، وذلك باعتراف أحد النقاد الذي كتب تحت عنوان «نعم.... هناك شيء رجالي في رواية ذاكرة الجسد، الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي، شعرت بالسعادة التي أشعر بها دائما كلما قرأت نصا أدبيا راقيا شديد الأحكام في صناعته الأدبية متميزا بما يشيره من قضايا إنسانية أو اجتماعية فيها صدق وعمق بدرجة يمكن أن تؤثر على الناس وتلفت نظرهم إلى وضع إنساني خاصة إذا كان هؤلاء الناس هم أهل بلد مثل الجزائر لهم في تاريخهم القريب ثورة فيها مبادئ رفيعة وعالية وفيها تضحيات كبيرة». وإن كانت رواية "فوضى الحواس" ورواية "عابر سرير" تميل إلى الترميز والتجديد أكثر من رواية "ذاكرة الجسد" فإنهما لا تقلان أهمية عنهما في طرح قضايا الإنسان والمواطن الجزائري بشكل خاص[2].

اللغة الروائية عند أحلام:

وقد قيل أن أحلام عجزت عن فهم الواقع الجزائري لذلك لجأن إلى التمويه بلغة المجاز لتؤكد من دون أن تدري اغتراب وصفها عن الواقع مثل اغترابها هي عن الوطن ولذلك لجأت إلى الأصناف الكثيرة من الإستعارات التي وسمت الرواية بطابع شاعري جعل البعض يصنفها في الرومانسية القديمة الجديدة غير أن الأمر ليس كذلك لأن أحلام لا يبدو عليها التمركز حول الذات فهي تبدأها باعتراف بالجميل ووفاء متأخر لـ"مالك حداد" الذي مات متأثرا بسرطان صمته ليصبح شهيد اللغة

1) رئيسه موسى كريزم، المرجع السابق، ص (209، 218).

2) المرجع نفسه، ص (227، 228).

العربية، وأول كاتب يموت قهرا وعشقا لها بعدما أدرك أن الفرنسية منفاه ولذا قرر أن يصمت وكان لابد أن تأتي أحلام بلغة عربية في مستوى هذا العشق لتعويض ذلك الصمت وهنا إنقاذ جميل للجنيالوجيا الضائعة في كتاب مالك حداد وكأنها تؤكد أنه ليس بالإمكان وجود كتابة جديدة إذ لم تستأنف حساسية سابقة فالسابق أديبا لولادة الجديد في حين أن الرومانسي ة لا تعترف بالسابق لأن الرومانسي يولد ومركزه معه.[1]

1) آمنة بلعلي، مقال موسوم بـ: **قيل في أحلام وقد يقال عنها**، منشورات الاختلاف، ع3، الجزائر، ماي 2003، ص31.

في قراءتنا لكتاب نسيان Com، أول ما لفت انتباهنا تلك الدائرة الحمراء "يحضر بيعه للرجال"، عبارة مكتوبة بلون أحمر، داخل دائرة حمراء تتصدر دقة الكتاب، وكأنها إشارة المنع على الذكورة، متعمد من طرف الكاتبة ربما يكون لأغراض دعائية محضة، فالكاتبة تعمد على تطبيق مقولة: «كل ممنوع مرغوب»، وربما لسبب تأكدها بأن الرجال سيتسللون لقراءة هذا الكتاب، لهذا نجد الكاتبة في صفحاتها الأولى تزعم نفسها في كتابة " توضيح للرجال المتسللين إلى هذا الكتاب فاتحة إياه بندائها : «يا أيها الرجال، سنصلي لله طويلا كي يملأ بفصيلتكم مجددا هذا العالم، وأن يساعدنا على نسيان الآخرين»[1]، وذلك بهدف من الرجال التفتيش والبحث عن العوالم الخفية عن حياة الأنثى، التي تغري الذكور والكشف عن كنوزها المدفونة في وجدانها.

وفي عتبة الإهداء تحدثت أحلام على أن هذا الكتاب، غير أعمالها الروائية بدليل «أهدي هذا الكتاب أولا إلى قراصنة كتبي»[2]

«يسعدني أن يجد الكل في هذا الكتاب باب رزق...»[3]

فهي تريد صبغة مغايرة غير صبغة أعمالها الروائية، بدليل استعمال لفظة Com .

في سبيل إقناع قراءة أحلام مستغانمي، تحت لواء حزبها الذي أصبح معروفا لهم تحت اسم "النسيان"، تبذل الكاتبة جهدا في تفجير طاقاتها الإبداعية الأدبية والفنية والعلمية بـ (نسيان Com) الذي هو عبارة عن كتاب يحتوي على 336 صفحة، نجدها موظفة مقدرتها الأدبية المتميزة، معتمدة على المقاطع النثرية، التي تمثل حوالي نسبة (95%) من الكتاب على أسلوب الحكي المدعم بأسلوب الإقناع المستوحى من التجارب الواقعية، التي عايشتها الروائية سواء عبر فعل القراءة والبحث والمطالعة، أو عبر الاستماع والإصغاء لتجارب الآخرين في حياتهم اليومية.

1) أحلام مستغانمي، **كتاب نسيان Com**، دار الآداب بيروت، ط3، 2010، ص 11.

2) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه، ص 07.

3) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه، ص 07.

فيما يمثل من هذا الكتاب (5%) من مقاطع شعرية، ومقولات لبعض عظماء الثقافة والفن، موظفة هذه المقاطع الشعرية بغرض استمالة المشاعر والأحاسيس من أجل تحقيق وطأتها على قارئها.

نجد الكاتبة قد ساهمت في كشف المناطق المظلمة من الحياة الشعورية للمرأة، محاولة مد يد المساعدة من أرض الضياع، في سبيل نسيان الرجل الذي أضاعها، فما هو الحل والسبل لإعادة الوفاق بين كل من الطرفين الأنوثة والذكورة؟ وهل يمكن العيش والاستغناء عن الطرف الآخر؟ وما هي المستويات الإبداعية التي ابتدعتها الكاتبة من أجل معالجة قرائها.

عند فتح دقة الكتاب، نجد أحلام مستغانمي، تخاطب أولئك الرجال المتسللين إلى هذا الكتاب قائلة: «هذا الكتاب، يسمح لمن تسلل من الرجال هنا، أن يتعلم من أخطاء غيره من الذكور، من باب "تعلم الأدب من قليل الأدب" عليهم أن يتعلموا الحب من قليلي الحب، أن يعتبروا يمصائر الكاذبين والخونة، والمتذاكين والأنانيين، ليأخذوا علما أن النساء استيقظن من سباتهن الأزلي»[1]

تنصب الكاتبة مدافعة عن الأنثى وعن حقوقها كامرأة التي أهدرتها الذكورة المتغطرسة التي تعتبر المرأة مجرد متعة يتسلى بها الرجل متى شاء وكيفما شاء.

في حين نجد الكاتبة بفضل حسها الأنثوي، لا تضع الرجال جميعهم في مستوى واحد وإطار واحد "مغضوبين عليهم" بل نجدها تميز بين الرجال المتسللين والرجال الحقيقيين تقول: «أما الرجال الحقيقيون فأعتذر لهم، أحب إثم ذكائهم، فأنا واثقة أنهم سينجحون في رشوة النساء، بما يملكون من رسائل رجالية لا تصمد أمام إغراءاتها امرأة»[2]

لذا نجدها تصبر على بناء نصها وفق ثنائية ضدية، تتمثل في الذكورة والأنوثة، محاولة بكل جهد الانتصار لأبناء جلدتها بكل ما لديها من قوة وعزيمة، محولة الأدب إلى مرشد عاطفي مساعد لهم في نسيان تلك الخيبات التي تعرضت لها النساء في معاركهن الخاسرة ضد الرجل، تقول في هذا

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 13.

2) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه، ص 13.

الصدد: «لا يمكن حصر عدد الكتاب عبر الأزمنة والحضارات، وبكل اللغات عملوا مرشدين عاطفيين للتائهين من العشاق في الأزقة والشوارع الجانبية للحب».[1]

المطلب الأول: المستوى الديني

يرتبط هذا المستوى بالجانب الوعظي الإرشادي فمهمة الرسول(ص) هي إرشاد الأمة وإتباعه إلى ما هو صلاح لهم، وقد امتدت هذه المهمة إلى كل من الإمام، أو من له خلفية معرفية مسبقة حول أولائك الذين سيلقى عليهم خطابهم، بغرض الإبلاغ المدعم بأسلوب الإقناع، في حين نجد الكاتبة تستعين بهذا الأسلوب لتدرجه ضمن نصها الإبداعي، محددة الهدف (الأنثى) التي تعاني من خيبات الأمل التي سببها ذلك الرجل المتغطرس، ومن وراء هذا الخطاب الإرشادي والمتمثل في إقناع الأنثى بنسيان ذلك الإنسان الذي سبب لها الألم والمعاناة [2]، فنجد الكاتبة تحكي لنا قصة إحدى صديقتها في إبداعها والصمود والوقوف في وجه هذا الإنسان الذي سبب لها الألم. تقول الكاتبة: «ثمة متعة في الصمود... حتى ألما»، «أصمدي كي تبقي كبيرة في عين نفسك»[3].

وفي النص المعنون بـ"أصمدي" تقول:

«أعرف صديقة أبدعت في الحالتين، كانت قد انفصلت عن الرجل الذي تحبه قبل أشهر، فلم تطلبه في عيد ميلاده، رغم كونها تعرف تماما التاريخ بحكم السنوات التي اختلفت فيها به.

ثم في العام التالي هاتفته في المناسبة إياها، ولم يصدق أن تكون قد تذكرته أخيرا، لكنها عكرت عليه فرحته حين قالت ببراءة ماكرة: ما هاتفتك العام الماضي في عيد ميلادك لأنني كنت مازلت أحبك، وأقوم بجهد الامتناع عن الاتصال بك، لكن وقد انطفأت تلك الحرائق منذ ذلك الحين، أصبح بإمكاني اليوم أن أتمنى لك من قلبي عيد ميلاد سعيد.

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 18.

2) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه، ص 121.

3) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه، ص 91.

ما كانت تتمناه حقا هو إيلامه بسلاح جديد لم يتوقعه، تركته حزينا يتحسر على الزمن الذي كانت تشهر عداءها له... صمتا!

ذلك أن الصمت في عنفه هو تعبير عن حب مضاد، مدفوع إلى أقصاه أي أنه وجه آخر للعشق في تطرفه. أما أن تتصلي برجل عشقته يوما لتقولي له كلاما عاديا، فذلك يعني أنك أنزلته من عرشه وساويته بالآخرين، الصمت كما كسر الصمت، سلاح كل امرأة أن تتقن استعماله في مواجهة الانقطاع الطويل، إنه درس في الصبر علينا إتقانه![1].

والمقصود من وراء هذا الخطاب الإرشادي والمتمثل في إقناع الأنثى بنسيان ذلك الرجل المراوغ، ففي الفصل المعنون "اختبري تقواه.... أخلاق قلبه".

همة الكاتبة هنا إعطاء بعض نصائحها تقول:

«لا تطمئني إلى رجل انصرف عن طاعة الله مأخوذا بدنياه

إن من لا يعترف بفضل الله عليه، لن يعترف بجميلك.

ومن لا يستحي من ملاقاة الله مذنبا، سيذنب في حقك دون الشعور بالذنب.

ومن ترك صلاته وصيامه بذرائع واهية، وقد تربى عليها سيعثر حين يشاء الذرائع التي يحتاجها لتركك.

ومن لا يرى، أبعد من حياته ولا يحسب للآخرة حسابا، هو في الحب لا يرى لحظته، ولن يصدق في التزامه معك أبعد من يومه، ومن نسي الله يراه، سينسى أن يرى دموعك حين تبكين ظلمة.
ومن لم يغالب كبريائه عن إيمان سيطغى، ويغدو التجني عقيدته»[2].

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص (91، 92).
2) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه ص (121، 122)

«ومن لم يطمئن الإيمان قلبه، سيسوء ظنه، ويسود باطنه، ويسكن الوسواس قلبه ولن تعرفي معه الإيمان.

ومن لم يزينه بهاء التقوى ستشوهه كل زينة عداه، وسيشوهك في آخر المطاف لا ينفضح بك».[1]

تعتمد الكاتبة في إسداء نصائحها على موروثها الثقافي الديني، وهذا ما يجعل خطابها الإرشادي مقنعا، مخاطبة العقل ليتقبل هذه الحكمة المضيئة.

وقد جاءت هذه الحكم تراكيب لغوية، تعتمد على صيغة النفي تليها مباشرة صيغة الإثبات، وهو أسلوب من أساليب اللغة العربية الغرض منه الإقناع.

في هذه التراكيب اللغوية، تعتمد الكاتبة على ذكر الشيء وضده لتثبت المعنى المقصود، فعندما نتلفظ بكلمة الليل لابد وأن ترسم صورة ذهنية للنهار وكذلك كلمة الحياة ضدها الموت مثل: صيغة النفي: الرجل الغافل: صيغة الإثبات، ناكر الجميل.

ضده: المعنى المراد إثباته: الرجل المنتبه: صيغة الإثبات: معترف الجميل.

المطلب الثاني: مستوى التحليل النفسي.

غالبا ما تم توظيف الأدب كوسيلة لفهم عمق النفس الإنسانية فنجد أن الدراسات التي قام بها العالم النفسي الإنجليزي "فرويد" بإتباعه إلى إيجاد محاولات الكشف عن خبايا هذه النفس في أرقى المستويات الإبداعية في خلق الأدبي وذلك ضمن طريقتين:

1. **الأولى**: تتعلق بفهم شخصية الفنان بما يجول بداخله من عقد وأمراض نفسية، وذلك من خلال دراسة عمله الفني وجعله وثيقة نفسية.

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 122.

2. **الثانية:** كذلك تتعلق باتخاذ شخصية الفنان أي نفسيته كوسيلة لفهم وتفسير عمله الفني.[1]

فالأدب ما هو إلا صياغة فنية لتجربة إنسانية هذه التجربة لا يمكن في أي حال من الأحوال فصلها عن المذاهب النفسية، التي تأخذها ومن ثم ترغمها على نقل هذه الأحاسيس والعواطف في شكل تراكيب لغوية تعبيرية تؤطرها رسومات وخطوط مع العلم أنها مع تطور الإنسان أصبحت تعرف بالحروف الأبجدية.

فالكاتبة هنا تعتمد على نقل هذه المشاعر والأحاسيس على ما يسمى في النقد البنيوي بالثنائيات الضدية: «التي هي عبارة عن بنية موضعية تتصادم داخل النص، باكتشافاتها أو بدراستها، يتم استخلاص المعنى العام الكامل الذي تدور حوله، ليتم فيا بعد تأويله»[2]

ومن أهم الثنائيات الضدية التي اعتمدت عليها الكاتبة أحلام مستغانمي في هذا الكتاب هما، (الذاكرة/ النسيان) فنحن على علم تام بأن وظيفة الذاكرة هي: حفظ الأحداث المتنوعة التي تمر على الإنسان فهي قائمة تسجيل هذه الوقائع ضمن شريط ذهني، بحيث عندما يتم استدعاء واقعة معينة لابد وأن تتوفر لها شروط معينة حتى يتم استدعائها.[3]

أما فعل النسيان فإنه يعمل على عمل تدميري عنيف على وقع الإنسان في حد ذاته بحيث يقوم على مسح هذه الوقائع مثلما يحدث عند إزالتنا لملف غير مرغوب فيه من قائمة المستندات لنجده فيما بعد في سلة المحذوفات، حتى وأن تم حذفه من هذه السلة، فإنه سيبقى موجودا في وحدة التخزين الخاصة بالحاسوب الذي يتعامل معه، وعليه إذن فعمل النسيان يبقى مجرد وهم يخفف من وطأة الذكريات ولا يمكنه أبدا تدميره ولا حتى محوه تماما من ذاكرتك.

---

1) فائق مصطفى وعبد الرضا علي، **في الفقه الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات**، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق ط1، 1989م، ص (174، 175).

2) إبراهيم محمد خليل، **النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك**، دار المسيرة، الأردن، (د.ط)،2001، ص (98، 99).

3) أحلام مستغانمي، **كتاب نسيان Com**، ص (291، 293).

وإليكم عرض المستوى النفسي التحليلي المرتبط بهذه الثنائية الضدية تقول الشاعرة أحلام مستغانمي في كتابها: "نسيان Com"

أيها النسيان أعطني يدك

كي أسير في مدن الذكرى معك

نضج الفراق

على شفاهي أزهرت قبل الوداع

لك قطافي.. يا نسيان هبني قبلتك

نسياني.. يا نسياني

امرأة تشبهني يوما بكت

من رجل كم يشبهك

ها هي ذي اليوم سلت

يا قدري.. يا أملي.. يا رجلي من دون الرجال

يا نسياني

راقصني.. خاصرني.. طيّرني.. غازلني.

قل " ما أجملك!"

بك أحتفي .. لك أفي

ما دمت لي.. ما دمت لك

لن أرتدي حداد الحب[1] من نص «أيها النسيان هبني قبلتك» حزيران 2007.

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص (291، 292).

الأديبة هنا تطلعنا بصدد تحليل قصيدتها التي لابد لها من احتكام المنطق هذه اللغة المتوارثة حتى يمكنها التواصل مع الذين تحكمهم نفس القوانين والضوابط اللغوية. ولو أن الكاتبة حاولت الابتعاد عن منطقية هذه اللغة فإنها حتما ستجد نفسها في معزل عنهم (لقرائها) فحينما وظفت الأديبة أحلام مستغانمي لفظة "النسيان" وهي لفظة مذكورة من الناحية اللغوية، لم تكن تدري بأنها ستقع في فخ الذكورة من جديد ولا سيما عندما أرادت إسناد أفعال هذه اللفظية "النسيان"، وهذا ما أجبرها إلى منطق اللغة فقامت بتوظيف أفعال لابد أن تستدعي حضور الرجل على الأقل ذهنيا في الوقت الذي كانت تعمل فيه "جاهدة وهبة" مغنية هذا النص أو هذه القصيدة بحيث تقول:

«يا قدري.. يا أملي.. يا رجلي من دون الرجال»[1].

فالكتاب هنا يحقق فكرة مبتكرة من خلال إرفاقه بألبوم غنائي للفنانة اللبنانية جاهدة وهبة به، يضم بعض ما غنته من نسيان Com لأحلام مستغانمي تحت عنوان " أيها النسيان هبني قبلتك"[2]

فالكتاب كمشروع، خرج بعدما امتلأت دفاتر الكاتبة بأفكار ومقولات في الحب، فقسمت هذه الأفكار بحسب مراحل الحب، أي بحسب الفصول الأربعة، فصل اللقاء والدهشة ، فصل الغيرة واللهفة، فصل لوعة الفراق، وفصل روعة النسيان، هذه "الرباعية الحب الأبدية، بربيعها وصيفها وخريفها وأعاصير شتائها"، هكذا تضع الأديبة للحب روزنامة ذات فصول، على رغم أنها تقول في مكان آخر من الكتاب أن "للحب روزنامة لا علاقة لها بمنطق الفصول" فمن خلال هذا نجد أن أحلام تلح على منح دواء يشفي من الذكور، وذلك عبر مد جسور تصل إلى المشاعر والأحاسيس فيجعلها تنتقض وتستيقظ من غفلتها التي لونها الرجل بمختلف المروعات والأساطير التي قامت بخداع الأنثى وذلك تجنبا لمعاناتها على مرأى الزمن، فالزمان هو الذي جعلها تستميل لإرادته، وليس أعظم من الشعر في مد مثل هذه الجسور، ولهذا فهي تستدعي، ذلك عبر أسلوب النداء "النسيان" المعادي

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص (291، 292)

2) الكتاب نفسه. ص (291، 292).

للذاكرة التي أسرها الرجل[1]، فتستدعيه لتسير معه جنبا إلى جنب في مدن الذكرى، المدن التي سلبت الإنسان إنسانيته، فأصبح وحيدا على الرغم من أنه محاط بمجموعة من البشر، مما يجعل الذاكرة على أهبة الاستعداد لمختلف الوقائع فالوحدة هي عمل الذاكرة، ولتعطيل عملية التذكر، لابد من اشتغال عمل النسيان الذي لا يكون إلا بالفراق والابتعاد عن كل الأشياء التي تستحضر الصور الذهنية لتلك الوقائع طبعا في الذاكرة.

لهذا فالنسيان عبارة عن حضن لأوجاع الأنثى المحاصرة بالذكورة على كل المستويات من الإنسان البدائي إلى أرقى صور الإنسان الحضاري، وبما أن اللغة من أرقى المستويات الحضارية التي اخترعتها البشرية إلا أنها لازالت تحاصر هي الأخرى الأنوثة، ولأن «فعل الكتابة يمارس وعيه في ذواتنا، وهو إذ يمارس وعيه يقوم باستدعاء قبيلة من الآباء والأجداد العاقبين، في الذاكرة والذين نجرهم وراءنا لأنهم ببساطة جزء من تفكيرنا فهم من أعطوا للغتنا شكلها وقوانين المتوارث عليها جيلا فجيل، ولأن العبقرية اللغوية التي ورثناها تجعلنا نميز بين الألفاظ الموجهة للذكر، والألفاظ الموجهة للمؤنث وذلك في جميع تعاملاتنا اليومية الشفوية منها والكتابية.[2]

وبهذا يصبح النسيان صورة أخرى للذكور، تلك الرجولة أو الذكورة التي تحاول المرأة أو الأنثى ترميمها من جديد رفق متطلباتها وحاجاتها وتصوراتها، هذه التصورات في الحقيقة ما هي إلا ظل من ظلالنا، فعمل المراقصة والمغازلة والمخاصرة لا يكمن أن تكون إلا باستدعاء الرجل، وهكذا نجد بداية قصيدتها يعلن ضرورة التخلص من قيد الذاكرة، طبعا باستدعاء عمل النسيان، الذي تذكره لنا الشاعرة أحلام بموقف إيجابي يعطي لأنوثتنا المسلوبة من طرف الذكر، ولكن النهاية في القصيدة جاء تدميرا للموقف الذي كان سائرا عليها (القصيدة)، فقد اتجهت بها إلى نهاية مليئة بالخيبات، ومع أن شاعرتنا «لن ترتدي حداد الحب » إلا أن هذا يعبر عن المفارقة، فعدم ارتدائها ثوب حداد الحب،

1) ينظر، كتاب نسيان Com، ص (291، 293)

2) محمد الحرز، **شعرية الكتابة والجسد دراسة حول الفن الشعري والنقدي**، دار الانتشار العربي، لبنان، ط1، (د.ت)، ص 76.

يعني أنها وجدت حبا جديدا،[1] والمتمثل في الوفاء والإخلاص للنسيان الذي قد ألبسه ثوب الذكورة من جديد وذلك عبر استدعاء أفعالها (المغازلة، المراقصة، المخاصرة...) وهكذا يصبح من العبث إخماد (عمل الذاكرة) وذلك باستدعاء (عمل النسيان)، الذي اتخذناه (الأنوثة) كأحد الأسلحة المشهورة في مواجهة الذكور.[2]

وعلى هذا نجد أن الأديبة أحلام مستغانمي تعطي لنا نظرة تبدو لنا سطحية عن عالم المرأة ألما بالأوجاع النفسية التي يتسببها الرجل للمرأة.

ولكن محتوى الكتاب "نسيان Com"عميق جدا بداية بالكلمة التي تستميل إليها المشاعر والأحاسيس لتخفيف وطأة الألم والمعاناة علينا، وهي كلمة "النسيان" المستهدفة للأنثى التي تعاني من خيبات الذكر، والمقصود من وراء هذه الكلمة إقناع الأديبة للمرأة أو الأنثى بصفة عامة، بنسيان هذا الكائن المراوغ الذي يرتبط ذكره عند الأنثى بالألم والمعاناة.

فهي تنصحها بنسيان الذي به تسلب إنسانية الإنسان، فيصبح وحيدا على الرغم من أنه محاط بمجموعة من البشر.

تنصحها بالنسيان الذي هو عبارة مسكن لأوجاع الأنثى والذي لا يكون إلا بالفراق والابتعاد عن كل الأشياء التي من شأنها تحريض الذاكرة على استحضار الصور الذهنية لتلك الوقائع المؤلمة لدى الأنثى.

أما دلالة " Com" عند أديبتنا كانت مبنية على العالم الافتراضي الذي تخلقه المرأة بنفسها لتبرز فيه شخصيتها التي هدمها الرجل مع نسيانها للواقع الذي لم ترى منه سوى الألم والمعاناة طبعا من طرف الجنس الآخر.

1) ينظر، كتاب نسيان Com، ص (291، 292).

2) ينظر، كتاب نسيان Com، ص 292.

أما الوردة التي كانت مزهرة يوما على هذا العالم الغريب قطفها الرجل بأفعاله وأقواله المريرة، فالرجل جعل الأنثى المزهرة بإشراقتها في الدنيا، إلى أنثى لا نقول معدومة ولكن شبه معدومة في هذا العالم لتأتي بعدها، الجذور المتناثرة التي تعكس لنا ضياع الإنسان أو الأنثى بصفة خاصة بحر الحب المجهول لتأتي في الأخير: أديبتنا منقذتنا ورمز الأنوثة المظلومة بإعطاء كل ما لديها من النصائح المعنوية المأخوذة من الواقع المعاش.

فهذا الكتاب بفكرته المبتكرة من خلال إرفاقه ألبوم غنائي للفنانة اللبنانية "جاهدة وهبة" به، تضم ما غنته من كتاب "نسيان Com" لأحلام مستغانمي تحت عنوان "أيها النسيان هبني قبلتك".[1]

كما يحمل على غلافه الخلفي شعار المشروع الذي نحاول الأديبة التأسيس له: "أحببته كما لم تحب امرأة وانسيه كنا ينسى الرجال"[2]

المطلب الثالث: مستوى التحليل الاجتماعي

يعد كتاب نسيان Com للأديبة أحلام مستغانمي صورة عاكسة لوضع المجتمعات العربية في حلة روائية مبتكرة، ابتدعت بها شكلا عن سابقاتها من الروايات والكتب، بحيث أسست من خلالها لشكل ومضمون متفردين في المتن الحكائي على غير ما ألفه القارئ العربي، فنسيان Com كتاب يزخر بتقاطع النصوص من مثل وحكمة وشعر وأقوال العلماء والحكماء على اختلاف انتماءاتهم العلمية والإيديولوجية والثقافية، لأنه ليس كتاب فحسب بل هو حالة فنية ونفسية وفكرية، إنه فعلا كما وصفته الأديبة أحلام باعتبارها له وصفة علاجية من آثار حب أخرق مترسب في ثنايا القلب والذاكرة، تريد من خلاله أن تمحي عفونة الماضي الملتبس بالعبودية، بحيث تطرقت الأديبة من خلال

1) ينظر، كتاب نسيان Com، ص (291، 292).

2) ينظر، كتاب نسيان Com، ص 05.

كتابها للنسيان بين المحبين والعشاق فأهدته للمرأة العربية بصفة عامة والمرأة الجزائرية بصفة خاصة أول نصيحة ظهرت شعرا على الغلاف "أحبيه كما لم تحب امرأة.. وانسيه كما ينسى الرجال"[1]

فالكاتبة في كتابها هذا اعتمدت أسلوبا لغويا خاصا ومصطلحات ليست بالبعيدة عن الواقع الاجتماعي بحيث تقول: «كتبت دليل النسيان هذا بسخرية كبيرة، أريدكن أن تضحكن، لا شيء يسحق الأسى[2]

فكتابها هذا مجرد وصفة لحالات الصدمة والجروح النفسية العاطفية لمدة علاجية ذات صلاحية غير محددة، احتلت فيه المرأة النصيب الأكبر في هذا الكتاب، وتعددت صورها من حيث علاقتها بالرجل وذلك من خلال "وضعية القصور التي كانت تفرض عليها الطاعة والاستكانة والإهانة وحتى الضرب الذي تتعرض له المرأة من طرف الرجل وتصمت على ذلك إتباعا لأقوال السلف.[3]

وهذا ما أظهرته لنا كاتبتنا أحلام في كتابها وذلك على شكل قصة وهي كالآتي "ليلة الجدي" يقال إن امرأة من إحدى قبائل البدو المقيمين في الجنوب الجزائري ذهبت مرة تزور ابنتها التي تزوجت، وانتقلت للعيش في كنف قبيلة أخرى، ففرحت البنت بمجيء أمها أية سعادة، ذبحت جديا احتفاء بها.

حين عاد زوجها في المساء ذهب، قبل أن يدخل الخيمة، يتفقد أغنامه فإذا بجدي ينقص من الحساب، فدخل على زوجته فوجدها تعد العشاء فراح يضربها ضربا مبرحا لأنها ذبحت الجدي.

من قهرها تظاهرت الأم بالنوم ولم تتناول العشاء، وقبل الفجر شدت الرحال إلى قبيلتها، بعد فترة جاءها مرسول بين القبائل يخبرها بوفاة يخبرها بوفاة زوج ابنتها.

---

1) أحلام بن الشيخ، المقال الموسوم بـ: **شاعرية المثل في رواية نسيان Com**، مجلة الأثر، ع17، الجزائر، جانفي 2013، ص 33.

2) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 19.

3) أمل قرامي، المقال الموسوم بـ: **الحضور النسائي في الكتابة الالكترونية**، الملتقى العربي الأول حول قضايا المرأة والكتابة النسائية، منبر الإبداع للإصدارات وأخبار الثقافية 15 مايو 2009، ص 48.

فذهبت لزيارتها فوجدتها أرضا تجذب شعرها، وتلقي الأتربة على نفسها، حدادا وأسى على زوجها «تمنت لو التراب غطاها بعده»

فقالت لها الأم وهي تراها في تلك الحالة «ابكي..ابكي..وزيني بكاك.. واذكري ليلة الجدي» وتذكرت المرأة حينها كم بكت على يد زوجها في ليلة الجدي يوم أبرحها ضربا عن ظلم.

فتوقفت عن البكاء وقامت ونفضت عنها التراب. وسرى هذا القول حكمة بين النساء منذ ذلك الحين[1]

فالكاتبة ترى أنه قبل أن تبكي على رجل وتلطمي وجهك وتشقي ثيابك، تذكري "ليلة الجدي"، وتلك الكدمات التي اخترقت زوقتها قلبك، ذلك التجريح... تلك الإهانات، التي كان الحب يُغفرها ويُخفيها، وهاهي اليوم الذاكرة تُكشفها، بعد أنم رفع عنها الحب الحصانة (الحماية).

وعلى هذا فالأديبة تنظر إلى الحب على أنه في الواقع أجمل أوهامنا، وأكثرها وجعا، لذلك لا يجب أخذ الحب مأخذ الجد، وهو السبيل الوحيد الذي يقينا من الندامة اللاحقة، فهي تسند رأيها إلى فكرة منطقية تكشف ما يخفيه الحب من عناصر واقعية، فمقدار الحب الكبير هو الخيبة، لأن الحب يولد بأحلام شاهقة أكبر من أصحابها. ذلك أنه يحتاج إلى أن يتجاوزهم ليكون حبا. لهذا السبب يجب أن يتساوى الحب مع توقع الفراق في مجتمعاتنا.

فالكاتبة في كتابها هذا تريدنا أن نربي قلوبنا مع كل حب على توقع احتمال الفراق، والتأقلم مع فكرة الفراق قبل التأقلم مع واقعنا وذلك أن في الفكرة يكمن إرهاقنا فيه بحيث يجب عدم التعامل مع الحبيب كشخص اتخذ بنفس الحبيب بل كمحتمل لقلبنا وجسدنا وحواسنا، أي كشخص يفرغ المكان الذي احتله لشخص آخر في حالة الفراق، ومن هنا نصيحتها للنساء بأن ندخل الحب بقلب من "تيفال" لا يعلق بجدرانه شيء من الماضي.

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 144.

بالنسبة للكاتبة النسيان في هذه الحالة هو «جثة الوقت العشقي المتمددة بين عاشقين سابقين» [1]، هي لا تقصد إزالة كاملة للماضي ولكن إعادة ترتيب الذكريات التي تسيطر على الذاكرة، فنسيان الحبيب لا يعني محوه من الذاكرة بشكل كامل، بل أنت فقط غيّري مكانه في ذاكرتك، ما عاد في ذاكرتك كل حين، بل صار لا يستحضر أحيانا في ذاكرتك.

فالنسيان هو عملية الدفع إلى الخلف في ترتيب الذكريات لنسيان الأهمية الكبرى في الحياة العاطفية، لأن على النسيان أن يؤسس للحب ذاكرته الجديدة، من دون ذاكرة جديدة لا يمكن للحب أن يولد. كل هذا وما يزيد الطين بلّة، المجتمع نفسه الذي يتوقع، بل يطلب من المرأة أن تنكر ذاتها وتوقد أصابعها العشرة شموعا للرجل هو نفسه لم يلقي باللائمة عليها حينما يهجرها لأجل امرأة أخرى أكثر اعتداد بنفسها وشخصيتها باسم الرجولة والقوامة لدى المجتمع يعفى الرجل من الإدانة عندهم ولهذا تطلق الكاتبة أحلام مستغانمي على هذه النصائح اسم "الوصايا المضادة" فمشروع كتابها هو خلق وصايا تهدف إلى النتيجة نفسها ولكن موجهة إلى النساء فقط.

وعلى غرار ما جاء به أبو نواس في دعوة الرجال إلى النسيان، وعدم اكتراث بمصائر علاقتهم بالنساء مثلا في قوله هذا في "وصاياه المضادة"

لا تبكينّ على الطلل وعلى الحبيب إذا رحلْ

واقطع من الرحم الذي بك في المناسبة اتّصلْ

سيّان عندك فليكن من لم يصلك ومن وصلْ[2]

وعلى هذا المبدأ تتعرض الكاتبة في كتابها لفكرة الوفاء وترجعها إلى أصل ذكوري المنشأ.في قصة تمر بسرعة عن ذلك الزمن المهدور، ف"هوميروس" هو من أراد للمرأة أن تكون وفية، وذلك في "الأوديسة" عندما تكافأ "بنلوب" بعودة زوجها "أوليس"، لا لأنها على مدى خمسة عشر سنة

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 199.

2) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه، ص 43.

كانت تحوك رداء الانتظار في النهار وتفكّ، خيوطه ليلا عن وفاء، وبعد أن أعلنت لمن عرضوا عليها الزواج أنها لن تتزوج حتى تنتهي من حياكة ذلك الثوب بل لأن هذه الأسطورة (التي كتبها الرجل)، أرادت أن تقنع النساء اللوائي يمثّلن نصف البشرية بفضائل انتظار النصف الآخر، انطلاقا من أنه يحدث للرجال كما القطط والحيوانات الأليفة أن يتوهوا.. ويصولوا.. ويجولوا.. ويضيعوا في الجزر المسحورة. لكنهم يعودون دائما لتلك المرأة الساذجة التي أثناء ذلك أهدرت أجمل سنوات عمرها في انتظارهم كخطيبة.. أو كزوجة تربي أثناء غيابهم أولاده، وتصون شرفهم وتحمي بيتهم.[1]

فنصيحة الكاتبة هنا تكمن في أن الشخص الذي لن يعود بعد يوم لن يعود أبدا ما أدراك لعل في غيابه من حياتك حكمة إلاهية ستدركين لاحقا نعمتها عليك ومما جاء في هذا الكتاب عن إبراهيم ناجي:

أيها الساهر تغفو وتذكر العهد وتصحو

وإذا ما التأم جرح جد بالتذكار جرح

فتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تمحو[2]

"فالتلمود" يحذر الرجال من أن يكونوا سبب بكاء النساء؛ لأن الله يعد دموعهن[3]

وعلى هذا تنهي الكاتبة كتابها بـ" **ميثاق شرف أنثوي"** وضعته أساسا لكي توقعه صديقتها "كاميليا فؤاد الهاشم" التي قررت العودة إلى حبيبها السابق بعدما كان قد أذاقها ألوان من العذاب بهجرها من دون سبب، مخالفة بذلك نصائحها التي كانت تحثها على النسيان أرادت أن تطمئنّ على صديقتها بأنها عادت إلى علاقتها السابقة بروحيّة جديدة، قبل أن تطالب كل النساء بتوقيع هذا الميثاق لاكتساب الحماية ضد كل صدمة ممكنة وهنا نصّه:

---

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 136.

2) أحلام مستغانمي، الكتاب نفسه، ص 25.

3) عبد الرحمان البرقوقي، **دولة النساء معجم ثقافي اجتماعي، لغوي عن المرأة**، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2008، ص 32.

أنا الموقّعة أدناه أقرُّ أنّني اِطّلعت على هذه الوصايا وأتعهّد أمام نفسي، وأمام الحبّ، وأمام القارئات، وأمام خلق الله أجمعين، المغرمين منهم والتائبين، من الآن وإلى يوم الدين بالتزامي التالي:

- أن أدخل الحب وأنا على ثقة تامة أنه لا وجود لحب أبدي.
- أن أكتسب حصانة الصدمة وأتوقع كل شيء من الحبيب.
- ألاّ أبكي بسبب رجل، فلا رجل يستحقّ دموعي. فالذي يستحقها حقا ما كان ليرضى بأن يُبكيني.
- أن أكون جاهزا للنسيان.. كما ينسى الرجال.[1]

1) أحلام مستغانمي، الكتاب السابق، ص 333.

ختاما نشير إلى أهم النقاط المتوصل إليها في هذا البحث:

-تبعا للآراء والتعريفات يمكننا القول: أن اللبس الحاصل في ضبط مصطلح "الكتابة النسائية" نتيجة للخلط بين طبيعة الأنثى وتيمات الكتابة؛ وأدب المرأة الجزائرية يكشف لنا جوانب من شخصية المرأة لاسيما جرأتها وتحررها، واعتدادها برأيها واستقلاليتها، كما نلاحظ أن معظم كتابات المرأة الجزائرية تتضمن معالجة قضايا ذاتية، اجتماعية وسياسية وتاريخية.

-الروائية أحلام مستغانمي استطاعت بعد نجاحها الكبير أن تكون الروائية التي تعبر عن قضايا إنسانية واجتماعية وغيرها من الانجازات التي حققتها في رواياتها.

-لغة أحلام في كتاب نسيان Com أداة إبداعية راقية يختلط فيها الشعر بالنثر ووسيلة إغراء بالجمال الأدبي والمتعة الفنية التي تسحر القارئ.

-تريد الكاتبة أن تمحي عفونة الماضي الملتبس بالعبودية، حيث تطرقت للنسيان بين المحبين والعشاق فأهدته للمرأة العربية كنصائح وإرشادات لتسهيل عملية النسيان.

-كتاب نسيان Com يزخر بتقاطع وتداخل أجناس وأغراض أدبية من مثل وحكمة وشعر وأقوال العلماء والحكماء على اختلاف انتماءاتهم العلمية والثقافية، وإن صح هذا التعبير كتاب نسيان Com هو حالة فنية، نفسية وفكرية، كما يعتبر وصفة علاجية من آثار العلاقات الإنسانية الحب مثلا، ترسبه في ثنايا القلب والذاكرة.

المصادر والمراجع

◈ **المصادر:**

✓ مستغانمي أحلام ،كتاب نسيان Com، دار الآداب، بيروت، ط3، 2010.

◈ **المراجع:**

✓ أعمال زهور ونيسي، الرواية والمسرح، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، مج 1، ط1، (د.ت).

✓ الدرقوقي عبد الرحمان، دولة النساء معجم ثقافي، اجتماعي، لغوي على المرأة، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

✓ بدر محمد، أدب النساء في الجاهلية والإسلام، مكتبة الآداب المطبعية النموذجية، القاهرة، (د.ط)، 1983.

✓ شريبط أحمد شريبط، دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،(د.ط)، 2003.

✓ كريزم رئيسة موسى، عالم أحلام مستغانمي الروائي، دار زهران للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2010.

✓ مرتاض عبد المالك، معجم الشعراء الجزائريين في القرن العشرين، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

✓ مسالي ليندة، الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، الجزائر، ع4، جانفي 2009.

✓ مصطفى فائق وعلي عبد الرضا، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ط1، 1989.

✓ مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، بجامعة خيضر، الجزائر، ط2، (د.ت).

✓ ناصر محمد، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006.

◈ المجلات والدوريات:

- ✓ بلعلي آمنة، "قيل في أحلام وقد يقال عنها"، مجلة الاختلاف، الجزائر، ع 3، ماي 2003.
- ✓ بن الشيخ أحلام ،"شعرية المثل في رواية نسيان Com"، مجلة الأثر، الجزائر، ع 17، جانفي 2013.
- ✓ حني عبد اللطيف، "الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة"، أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري،بالمركز الجامعي، الطارف، ماي 2012.
- ✓ قرامي أمل، "الحضور النسائي في الكتابة الإلكترونية "، الملتقى العربي الأول حول قضايا المرأة والكتابة النسائي، منبر الإبداع والأخبار الثقافية،الجزائر 15 مايو 2009
- ✓ معمري أحلام، "إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة"، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، جامعة ورقلة، في 09-10 مارس 2011.
- ✓ ممتحن مهدي، واقف زادة شمس، "الأدب النسائي مصطلح يتأرجح بين مؤيد ومعارض " منشورات التراث الأدبي، مطبعية الجامعة الأردنية، عمان، 1960.
- ✓ نتشة روان يوسف،" تمكين المرأة من حضور السياق المغيب وإشكالية المعنى المفقود"، آفاق مجلة عالم الفكر معرفية،صدرت عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 40، ع1، يوليو- سبتمبر 2011.

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة..... أ-ب-ج

تمهيد..... 1

المبحث الأول: ماهية الأدب النسوي..... 4

المطلب الأول: الآراء النقدية في إشكالية مصطلح الأدب النسوي..... 4

المطلب الثاني: الأدب النسوي في الجزائر..... 9

المطلب الثالث: تجربة أحلام مستغانمي..... 16

المبحث الثاني: قراءة في كتاب نسيان Com لأحلام مستغانمي..... 23

المطلب الأول: المستوى الديني..... 25

المطلب الثاني: مستوى التحليل النفسي..... 27

المطلب الثالث: مستوى التحليل الاجتماعي..... 33

خاتمة..... 39

قائمة المصادر والمراجع. 40

المبحث الأول: من إعداد الطالبة: جعيدير الزهرة

المبحث الثاني: من إعداد الطالبة: بوميدونة زينب